56

ورقة تقدير موقف

أحداث "سْدِيهْ تِيمانْ" وَ"بِيتْ لِيدْ": قراءة في النزعة المليشياوِيّة للدولة

مهنّد مصطفى

آب 2024

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية

ورقة تقدير موقف 56

أحداث "سْدِيهْ تِيمانْ" وَ"بِيتْ لِيدْ": قراءة في النزعة المليشياويّة للدولة

مهنّد مصطفى
المدير الأكاديمي لبرنامج طلبة الدراسات العليا

حقوق النشر محفوظة

العنوان: همغينيم 90 حيفا
البريد الإلكترونيّ: mada@mada-research.org
رقم الهاتف: 04-8552035

ورقة تقدير موقف

حملت أحداث اقتحام مجموعات من اليمين لمعسكر "سْدِيهْ تِيمانْ" في النقب، الذي تحوّل إلى معتقل وحشيّ لسكّان من غزّة، ولمعسكر "بِيتْ لِيدْ" في اليوم نفسه، ودعم وزراء وأعضاء كنيست لهذه الاقتحامات المنظَّمة، حملت سؤالًا بشأن التحوُّلات التي يمرّ فيها المجتمع ومؤسَّسات الدولة في إسرائيل.

تنطلق هذه الورقة من ادّعاء مُفادُهُ أنّ هذه الاقتحامات هي مؤشّر من ضمن مؤشّرات كثيرة تدلّ على تحلُّل مفهوم "الدولتيّة" ("مَمْلَخْتِيُوتْ" -بالعبريّة) في فكر وسلوك قيادات وشرائح واسعة في المجتمع الإسرائيليّ، وظهور النزعةِ المليشياويّة لدى هذه القِطاعات، النزعةِ التي تغلغلت كذلك إلى صفوف الجيش الإسرائيليّ أفرادًا وجماعات. جاء اقتحام معتقل "سْدِيهْ تِيمانْ" بسبب قيام الشرطة العسكريّة بتنفيذ أوامر اعتقال في المعتقَل ضدّ ثمانية جنود من "الوحدة 100"، المسؤولة عن المعتقَل، لاغتصابهم معتقَلًا فلسطينيًّا من قِطاع غزّة، وهو ما أدّى إلى تحويله إلى المستشفى وهو في حالة حرجة. وقد نشر الجنود الذين في المعتقل فيديو فيه نداء "إلى شعب إسرائيل"، للتدخّل لمنع اعتقال الجنود، فالتمّت مجموعات برفقة أعضاء كنيست من الائتلاف واقتحمت المعتقَل، وبعدئذٍ قامت باقتحام معسكر "بِيتْ لِيدْ" حيث كانت تجري محاكمة التمديد للجنود في اليوم نفسه مساء.

تحاول هذه الورقة المقتضبة تحليل أسباب ومؤشّرات تَحلُّل "الدولتيّة" وتزايُد النزعة المليشياويّة في المجتمع الإسرائيليّ والنخَب السياسيّة والعسكريّة، مع التأكيد على الرابط بينهما، فكلّ واحدة منها تغذّي الأخرى، وهو ما يصعّب افتراض إمكانيّة تراجع تعمُّق هاتين الظاهرتين اللتين لم تَنتجا عن الحرب في قِطاع غزّة، بل لقد كشفتهما الحرب على نحوٍ جليّ أكثر.

فرض "الدولتيّة" ونزع المليشياويّة

مع الإعلان عن قيام دولة إسرائيل في أيّار عام 1948، عمل داڤيد بن چوريون على فرض مبدأ "الدولتيّة"، ونزع الصفة المليشياويّة اليهوديّة عن الحالة العسكريّة التي سادت فترة الانتداب البريطانيّ. وتهدف الدولتيّة إلى مصادرة مصالح الأفراد أو القِطاعات الاجتماعيّة لصالح المصلحة العليا للدولة،[1] ووضع أمن ومصلحة الدولة في المركز، وتجنيد الموارد والقدرات البشريّة والماديّة في خدمة الدولة، ونزع الصفة الفردانيّة وتعظيم الجمعانيّة التي يجري تأطيرها بمصلحة وأولويّة الدولة.[2]

وجاء نزع المليشياويّة بقوّة السلاح عندما أغرق الجيش الإسرائيليّ "الجديد" سفينة "ألطالينا" التي حملت شحنة من الأسلحة لمنظَّمة "إيتْسِلْ" العسكريّة بعد سلسلة من المواجهات المسلّحة مع السفينة. أدّت هذه الحادثة إلى مقتل 19 شخصًا، 16 منهم كانوا على متن السفينة وثلاثة من أفراد الجيش الإسرائيليّ. وكان بن چوريون يرمي إلى تكريس وجود جيش واحد، وسلاح واحد، وتراتُبيّة تنظيميّة وعسكريّة واحدة تخضع لسلطات الدولة. وهنا تكمن العلاقة بين الدولتيّة وفكرة جيش الشعب، بحيث يعمل الجيش على إذابة الفروق السياسيّة والأيديولوجيّة والطبقيّة من أجل خدمة الدولة ومصالحها العليا. ومع ذلك، لم تتمكّن المنظومة الدولتيّة من حسم سؤال الدين والدولة، بل تركته مفتوحًا ضمن اتّفاق الوضع القائم الذي وقّعه

1. فريدمان، تهيلا. (2023، 6 شباط). العودة إلى الدولتيّة. القدس: معهد شالوم هرتمان. (بالعبريّة)

2. Kedar, Nir & Bareli, Avi. (2011). Israeli Republicanism. Policy Paper No. 87. Jerusalem: The Israel Democracy Institute.

بن چوريون مع الأحزاب الدينيّة الحريديّة قبل الإعلان عن دولة إسرائيل، ولم تحسم سؤال هُويّة الدولة المدنيّة بالامتناع عن صياغة دستور يضمن الحقوق والحرّيّات في الدولة العبريّة، واستمرار إسرائيل كدولة استعماريّة تحاول القضاء على الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة.

نزع "الدولتيّة" وفرض المليشياويّة

كثير من الأدبيّات الإسرائيليّة تحذّر من التراجع عن الصفة "الدولتيّة" التي صكّها بن چوريون،[3] والتي تُعنى اليوم بإعلاء وتعظيم شأن الدولة ومصالحها على المصالح الجهويّة، والشخصيّة والفئويّة، كما تتمثّل في الخطاب الإسرائيليّ بالوحدة الداخليّة ونبذ الانقسام الاجتماعيّ. والحقيقة أنّ الدولتيّة فشلت في تحقيق هدفها، ولا يتعلّق الأمر بطبيعة المجتمع الإسرائيليّ كمجتمع مهاجرين فحسب، وإنّما لأسباب ثلاثة مركزيّة: الأوّل في عدم إنتاج هُويّة إسرائيليّة مدنيّة صُلبة؛ والثاني في الاحتلال الإسرائيليّ لأراضٍ فلسطينيّة؛ والثالث في عدم حسم سؤال الدين والدولة في البداية، والذي لم يعد بالإمكان الوصول إلى تسوية بشأنه. الكثير من التنظيرات الجديدة بشأن أهمّيّة العودة إلى الدولتيّة وتجديدها يطغى عليها الطابع الإنشائيّ وتمنّي واقعيّة تحقيقها في الواقع.[4]

أخذ اليمين هذا الواقع وأسهم في تحلُّل الدولتيّة، وكان المشروع الأخير لليمين لإضعاف مؤسَّسات الدولة بصيغة خطّة التغييرات الدستوريّة التي حاول تنفيذها ولا يزال يحاول حتّى الآن. ويرمي مشروع التغييرات الدستوريّة إلى تكريس الطابع اليهوديّ للدولة كدولة إثنيّة-دينيّة على حساب الهُويّة المدنيّة في "الإسرائيليّة"، ومحاولة حسم مسألة الاحتلال من خلال ضمّ الضفّة الغربيّة وتعميق الاستيطان، وحسم سؤال الدين والدولة نحو هيمنة المؤسَّسة الدينيّة. يهدف مشروع إضعاف مؤسَّسات الدولة إلى السيطرة عليها، وتسخيرها لمشروع اليمين في المَحاور الثلاثة المذكورة.

عودة الحديث المتجدّد عن "الدولتية" هي نتاج فقدانها وتحلُّلها، وقد أسهمت في المرحلة الانتقاليّة إلى إضعاف الدولة وخضوع مؤسَّساتها للهيمنة اليمينيّة، على نحوٍ ما نرى مؤخَّرًا في تحوُّل جهاز الشرطة إلى ذراع لليمين،[5] وتخوُّف سائر المؤسَّسات من تحدّي هذه الهيمنة التي جُنِّدت لها مليشيات منظَّمة تنتهك الدولتيّة -بل حتّى القانون- دون محاسَبة، بل إنّها ترتكز على دعم سياسيّ من مؤسَّسات الدولة، مثل المليشيات التي ظهرت في هبّة الكرامة وطاردت وأرهبت السكّان الفلسطينيّين في اللدّ وعكّا والرملة، والمليشيات التي تمارس الإرهاب ضدّ الفلسطينيّين في الضفّة الغربيّة الذي بلغ حدّ القتل والهجوم الجماعيّ على بلدة حوّارة بدعم سياسيّ، وسط صمت وتواطؤ مؤسَّسات الدولة مثل الجيش والشرطة.

---

3. انظر -على سبيل المثال لا الحصر-:
هيرمن، تمار؛ وشيف، عوفر. (محرّران). (2023). **21 فكرة عن الدولتيّة الإسرائيليّة**. رعنانا: الجامعة المفتوحة. (بالعبرية)
شطيرن، يديديا. (محرّر). (2021). الدولتيّة في القرن الواحد والعشرين. القدس: المعهد الإسرائيليّ للديمقراطيّة. (بالعبرية)

4. انظر كتاب الصحافيّ آري شافيط الإنشائيّ الذي صدر مؤخَّرًا: شافيط، آري. (2024). **حرب وجوديّة: من الكارثة إلى الانتصار إلى النهضة**. تل أبيب: منشورات يديعوت للكتب. (بالعبرية)

5. هآرتس. كلمة التحرير. (2023، 2 آذار). شرطة بن چڤير. هآرتس.

ظهر ضعف الدولتيّة في التواطؤ مع الحالة المليشياويّة الاجتماعيّة اليمينيّة، وخاصّة عندما يتعلّق الأمر باستهداف الفلسطينيّين والاعتداء عليهم، وأخيرًا في التساهل السياسيّ مع اقتحام مجموعات منظَّمة لسِجن "سْدِيهْ تِيمانْ" وقاعدة "بِيتْ لِيدْ". تتمثّل حالة التساهل هذه في تقديم دعم سياسيّ لهذه المليشيات، وعدم محاسبتها، بل حتّى حراستها ودعمها على نحوٍ ما حدث مع المليشيات المنظَّمة التي اعتدت على الفلسطينيّين داخل الخطّ الأخضر وفي الضفّة الغربيّة. وظهر التساهل في تواطؤ الجيش مع ظهور نزعة ميلشياويّة في الجيش، بعضها بدعم من الجيش على غرار تأسيس وحدات عسكريّة منسجمة أيديولوجيًّا مثل وحدة "نيتسح يهودا"،[6] وفي إدخال حاخامات الصهيونيّة الدينيّة إلى الجيش، وكلّ منظومة المدارس الدينيّة العسكريّة التي تخرّج للجيش جنودًا متديّنين قوميّين يعتبرون الحاخام السلطةَ العليا عندهم، ويرون أنّ التعامل مع الجيش جاء ليخدم المشروع الاستيطانيّ، وفي الإمكان تعداد المئات من الحالات التي تثبت الحالة المليشياويّة في الجيش على مستوى الأفراد والوحدات أو المجموعات في الجيش، وليس هنا المقام المناسب لذكرها.

خضع الجيش للنزعة المليشياويّة في صفوفه، وكان ذلك في قضيّة الجنديّ القاتل "إليئور أزاريا"، عام 2016، الذي قَتَلَ الفلسطينيّ عبد الفتّاح الشريف وهو ملقى على الأرض مجروحًا. تلك القضيّة أبرزت صراعًا داخليًّا قديمًا بين النخَب الإشكنازيّة والشرقيّة في الجيش،[7] راكَمَهُ تعميقٌ للنزعة المليشياويّة في الجيش بتأييد الجنود والسياسيّين له. لم تكن هذه القضيّة إلّا مؤشّرًا على هذه النزعة. وتوالت الأحداث التي عمّقت هذه النزعة، وأظهرت الحرب على غزّة نزعة مليشياويّة عميقة لأفراد ووحدات عسكريّة، وكان آخِرَ هذه الأحداث خطابُ قائد فرقة غزّة الجديد براك حيرام،[8] الذي يمثّل تحوُّل الجيش إلى أداة في حرب دينيّة،[9] والأهمّ أنّ تعيين حيرام يمثّل خضوع الجيش للأَجِنْدات المليشياويّة فكرًا وسلوكًا في الجيش، بما يمثّل حلقة في مسار تحلُّل الجيش[10] تحمل فكرة "جيش الشعب" بذور المليشياويّة، وذلك أنّ الحفاظ بكلّ ثمن على هذه الصفة -في ظلّ التحوُّلات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة التي يمرّ بها المجتمع الإسرائيليّ- يدفع الجيشَ إلى الرضوخ لمَطالب أيديولوجيّة وسياسيّة بداخله تؤدّي في النهاية إلى بروز النزعة المليشياويّة التي كان الهدف من فكرة جيش الشعب هو النقيض لها، ولكنّها بمرور الزمن تحوّلت إلى الأرضيّة التي تنمو فيها المليشياويّة فكرًا وسلوكًا داخل الجيش.

في هذا الصدد، يمكن تفسير ما حدث في "سْدِيهْ تِيمانْ" على أنّه تمرُّد لجنود في الجيش ضدّ أوامر عسكريّة،

---

6. ليڤي، يغيل. (2024، 25 نيسان). الجيش الإسرائيليّ والدولة تخلّيا عن "نيتسح يهودا". هآرتس.

7. Eastwood, James. (2018). Reading Abdul Fattah al-Sharif, reading Elor Azaria: Anti Mizrahi racism in the moral economy of Zionist settler colonial violence. **Settler Colonial Studies** 9(1). Pp. 59–77.

8. كان ضابطًا في الجيش، وقاد قوّات من الجيش من بينها قوّات خاصّة في السابع من أكتوبر، وقُتِل خلال المواجهات عشرات الجنود تحت إمرته. ولاحقًا أعطى الأمرَ بقصف بيت فيه محتجَزون إسرائيليّون في كيبوتس "بئيري"، ممّا أدّى إلى مصرع 13 إسرائيليًّا وجميع مقاتلي حماس. وقد قرّر حيرام قصف البيت على الرغم من أنّ أحد قادة حماس في البيت قرّر الاستسلام ومعه رهينة إسرائيليّة، ولم يمنع ذلك حيرام من قصف البيت بقذيفتين من دبّابة. وعلى الرغم من ذلك أشار تقرير الجيش أنّ حيرام تصرَّفَ بمهنيّة، بل لقد جرت ترقيته إلى قائد فرقة غزّة. وخلال الحرب، أعطى حيرام أمرًا بتفجير جامعة غزّة في القِطاع دون وجود دوافع أمنيّة -إذا كان وجودها يبرّر أصلًا تدمير جامعة!

9. مصطفى، مهنّد. (2014، كانون الأوّل). حضور الدين في الحرب على غزّة، من تديين الصهيونيّة إلى تديين الصراع. ملفّات مدى رقم 3، قراءات في الحرب الإسرائيليّة على غزّة 2014. حيفا: مركز مدى الكرمل.

10. ليڤي، يغيل. (2024، 19 آذار). هكذا يكون جيش في مسار التحلُّل. هآرتس.

ومناداتهم "شعب إسرائيل" لحمايتهم والذي أدّى خلال وقت قصير إلى تنظُّم مجموعات كبيرة بدعم من وزراء وسياسيّين للدفاع عن الجنود ومحاولة إخراجهم بالقوّة من قاعدة عوفر العسكريّة، وضعف الدولة في صدّهم ومحاسبتهم. ويهدف اليمين من مشروعه في إضعاف الدولة ومؤسَّساتها وفي تعميق النزعة المليشياويّة في الجيش إلى منع تفكيك المشروع الاستيطانيّ في الضفّة الغربيّة، أو حتّى جزء منه -على نحوِ ما حدث في غزّة عام 2005- والذي شكّل صدمة بالغة لليمين قرّر بعدها تنفيذ مشروعه في الهيمنة على الدولة من خلال إضعاف مؤسَّساتها والهيمنة على الجيش من خلال إدخال النزعات المليشياويّة فيه. جرت هذه العمليّة على نحوٍ متراكم، وبلغت ذروتها في مشروع التغييرات الدستوريّة عام 2023، ونزع صفة "القدسيّة" عن الجيش من خلال التهجُّم عليه إذا تعارضت ممارساته مع مَصالح المشروع الاستعماريّ حتّى لو كانت شكليّة ومستمرّة في "أَدْلَجَة" جهاز الشرطة بما يخدم أَجِنْدات اليمين المتطرّف.

خاتمة

كشفت أحداث السابع من أكتوبر عن ضعف الدولة وتحلُّلها من خلال ضعف مفهوم "الدولتيّة"، وكان لليمين على مدار العَقْدَين الماضيَيْن الدَّوْرُ الأساسيّ في إضعاف مؤسَّسات الدولة، وذلك بغية إخضاعها لتكون مركِّبًا من مشروعه الاستيطانيّ في الضفّة الغربيّة من جهة، وتكون تابعة لهذا المشروع من جهة أخرى، وللهيمنة عليها من خلال إضعاف مؤسَّساتها وتفكيك نُخَبها القديمة، أو ما تمْكِن تسميته "الدولة العميقة"، وهو أسلوب دمج في داخله بين الخطاب اليمينيّ الشعبويّ وإحداث ردّة عن التحوُّلات الليبراليّة، التي مرّت بها الدولة ومؤسَّساتها في عَقْد التسعينيّات نحو إعادة تعريف الدولة كدولة يهوديّة منسجمة مع التعريف الصهيونيّ الدينيّ، وهو ما ظهر في تشريع قانون أساس دولة إسرائيل كدولة الشعب اليهوديّ عام 2018، المعروف بقانون القوميّة.

أدرك بن چوريون أنّ قوّة المشروع الصهيونيّ تكمن في تعزيز الصفة الدولانيّة على الحقل السياسيّ الإسرائيليّ، وإلغاء النزعة المليشياويّة عن الجيش الإسرائيليّ الذي قام بدَوْر اجتماعيّ في بناء "الأمّة" الواحدة من المهاجرين، فإنّ ما يحدث في إسرائيل منذ عقود، وقد عمّقته الحرب في قِطاع غزّة وأظهرته، هو تحلُّل الدولانيّة وتغلغُل النزعة المليشياويّة على الأفراد والضبّاط والوحدات العسكريّة، وهو الذي يمثّل الخطر الوجوديّ الحقيقيّ على دولة إسرائيل.

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات
الاجتماعية التطبيقية